مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص 559- 577

الحكاية الشعبية وأشكالها المتغيّرة في المجتمع المعاصر

Folktale and its changing forms in contemporary society

قجنان ليندا [1*]، بوحبيب حميد [2]

[1] كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. جامعة الجزائر2 (الجزائر)، lindakedjnane@hotmail.com

[2] كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. جامعة الجزائر2 (الجزائر)، hamidbouhbib@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/04 تاريخ القبول: 2022/23/23 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

الطفولة مرحلة أساسية يحقّق فيها الفرد مراحل النموّ المختلفة، الحكاية الشعبية نوع من السّرد الشّفوي المتوارث، يستمتع بها الكبار والصّغار داخل الفضاء العائلي ، ويعتبر الموقد مكان اجتماع العائلة في الليالي الشّتوية لسماع حكايات الجنيات، والأغوال، تنسيهم همومهم، وتحلّق وتستلهم بخيال الطّفل ، مخفّفة ضغوطاته النفسية، وبتجسيداتها الرّمزية تلبّي حاجات الطّفل النّفسية والاجتماعية، فتنشئه على المبادئ والأخلاق، واحترام العادات والتّقاليد، والحفاظ على التراث الشعبي ومع ظهور التّكنولوجيا، ووسائل الإعلام، تحوّلت الحكايات الشّعبية الفولكلورية الشّفوية نذكر منها حكايات من الثقافة الشعبية الجزائرية مثل لونجة بنت الغول، بقرة اليتامى، عشبة خضار، عصفور لهوا، البذرة المنادية ...الخ إلى حكايات حديثة معاصرة سواء مكتوبة أو مرئية، كالحكايات المرسومة والرّسوم المتحركة، فاتّخذت الحكاية الشعبية أشكالاً وتحوّلات في المجتمع المعاصر.

كلمات مفتاحية: الطفولة ؛ الحكاية الشعبية ؛ أدب الأطفال.

Abstract:

Childhood is a basic stage in which the individual achieves the various stages of development. The folk tale is a type of oral narration inherited, enjoyed by adults and children within the family space, forgetting their worries, flying and inspired by the child's imagination, relieving his pressures Psychological, raising him on principles and morals, respecting customs and traditions, preserving folklore, and with the emergence of technology and the media, oral folkloric tales have transformed to modern contemporary tales, whether written or visual, such as drawn tales and cartoons, so the folk tale has taken forms and transformations in contemporary society.

Keywords: Childhood; folk tales; children's literature.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

ظلّت الطفولة محور اهتمام الكثير من الباحثين والمربّين، بحيث اتّخذت اتجاهات مختلفة سواء داخل الأسرة، أو دور الحضانة، أو المؤسسات التّربوية، والحكاية الشعبية موروث شعبي متناقل شفويا أقرب إلى الطفل بتقديم عقد نموّه النّفسية ، كما أنّها تعكس عادات وتقاليد المجتمع، فتعلّم الطفل المبادئ القيّمة مبيّنة له أبعاد الخير والشر،الحكاية الشّعبيّة موروث شعبي قديم وعريق، ورثتها الشّعوب من العصور السالفة، تعبّر عن تخيّلات وتأملاّت الشّعوب، تعتبر الأسرة النواة الأولى في تنشئة وتربية الطفل لذلك نجد الأم، أو الجدّة، أو الأخت الكبرى تقوم برواية حكايات للطفل لترفيهه وتربيته، ترتبط الحكاية الشعبية بأشكال التّعبير الشفوي في المجتمع، حتّى غزت وسائل الإعلام المختلفة والتكنولوجيا المعاصرة التّي تكاد تحلّ محلّ التّعبير الشعبي الشفوي، فأصبحت للحكاية الشعبية تحولات معاصرة وحديثة منها أفلام الحركة، الرسوم المتحركة، المسرحيات، قصص المكتبات سواء المكتوبة، أو الحكايات الرقمية، تستوحي موضوعاتها من الحكاية الشعبية، ولهذا نطرح الإشكالية هل يجب الحفاظ على موروثنا الشعبي وتناقل حكاياتنا الشعبية شفويا دون التغيير فيها حفاظاً على الذاكرة الشعبية، أو يجب إدخال روح المعاصرة والتكنولوجيا عليها، وتحويلها حسب متطلبات المجتمع المعاصر، واستهواءات الطّفل المعاصر؟ يظلّ التّراث الشّعبي المنبع والأساس لكلّ ما ذكرناه سابقاً يستمدّ موضوعاته ومادته منه، رغم تغير أشكالها في عالمنا المعاصر، مضمون الحكايات الشعبية أصيلة توارثها الأجيال عبر الزّمن، لم تعد قاصرة على الحكي الشّفوي فقط أصبحت تحوّلاتها كثيرة بأسلوب عصري حديث، وأشكالها موجّهة لكافة المراحل العمرية في الطفولة، ولكلّ مرحلة شكل أدبي تخاطب الطّفل، سواء الكتب والأشكال المطبوعة المدرسية، أو المكتبة تتلاءم وخبراتهم ومستواهم، أو المصوّرة المرئية، أو على شكل مسرحيات، شرط أن تنمّي خيال الطّفل وتلقّنه المبادئ الاجتماعية الأخلاقية، وتحافظ على التّراث الشّعبي.

2. الطفولة وأدب الطفل:

«الطّفولة هي قترة الحياة التي تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد، وهي تختلف من ثقافة إلى أخرى فقد تنتهي عند البلوغ أو عند الزّواج، أو يصطلح على سن محددة لها» (زلط، 1997، صفحة 16)

تتمثل مراحل الطفولة فيما يلي:

- مرحلة الواقعية والخيال المحدود: تشمل الأطفال الذّين تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى خمس سنوات.
- مرحلة الخيال المنطلق: تشمل الأطفال الذّين تتراوح أعمارهم بين ست إلى ثماني سنوات.
- مرحلة البطولة: تشمل الأطفال الذّين تتراوح أعمارهم بين ثماني أو تسع سنوات إلى اثنتي عشر سنة.
- المرحلة المثالية: تشمل الأطفال الذّين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشر سنة إلى خمس عشر سنة. (الهيتي، 1977، صفحة 18)

أدب الطّفل هو ذلك اللّون الفنّي الجديد الذّي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية، مستعينا بوسائل الثّقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال من أحداث الفنون الأدبية، يحتلّ هذا الأدب الصّدارة بين الوسائط المستخدمة في تلقين الطّل ثقافة مجتمعه، وتشكل القنوات غير الرسمية المقدمة للطّفل بشكلها ومادّتها كلّ ما يحتاجه من قيم ونماذج وتعاملات وتوجهات تؤثّر على الأطفال من خلال وظائفها المتعدّدة النّفسية، الاجتماعية، العاطفية، والمعرفية التّي تساعد على نموّ الطّفل نفسيّا، واجتماعيا، وعاطفيا، ومعرفيا، أمّا وسائط مخاطبة الطّفل الوسائط المكتوبة كالمجلاّت ، القواميس، دوائر المعارف وكتب ومسلسلات السير والتراجم. (حسن، 2002، صفحة 33).

3. الحكاية الشعبية وأشكالها المتغيّرة في المجتمع المعاصر:

(الحكايات الموجّهة للأطفال، الحكايات المرسومة، الرّسوم المتحرّكة، الحكايات في أفلام الحركة، الحكايات في المكتبات...إلخ)

1.3الحكاية الشعبية:

تعرفها المراجع الألمانية بأنّها الخبر الذّي يدلّ بحدث قديم ينتقل عن طريق الرّواية الشّفوية من جيل إلى آخر، أو هي خلق حر للخيال الشّعبي ينسجه حول حوادث مهمّة وشخوص ومواقع تاريخية"، أمّا في المراجع الإنكليزية "هي حكاية يصدّقها الشّعب بوصفها حقيقة وتداولها شفويّاَ، كما أنّها قد تختصّ بالحوادث التّاريخية الصّرفة، أو الأبطال الذين يصنعون التّاريخ"، وتعرّف نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية بأنّها قصّة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم يستمتع الشّعب بروايتها. (ابراهيم، 1974، الصفحات 133-134)

عرّف عبد الحميد بورايو الحكاية الشعبية بأنّها شكل قصصي تتّخذ مادته من الواقع النّفسي والاجتماعي الذّي يعيشه الشّعب، وقد دفع تنوّع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدّة أنواع منها، حكايات الواقع الاجتماعي والحياة اليومية، حكايات الحيوان، الحكايات الهزلية...إلخ، (بورايو، 1986، صفحة 188)

يعرف السّرد بأنّه فعل يقوم به الرّاوي الذّي ينتج قصّة، فهو عرض لحدث أو متوالية من الأحداث حقيقية أو خيالية عرض بواسطة اللّغة، وبصفة خاصة بواسطة لغة مكتوبة، فالسّرد فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب الذّي هو عملية إنتاج يمثّل فيه الرّاوي دور المنتج والمروي له دور المستهلك والخطاب دور السلعة المنتج. (مقدادي، 2012)

ظهرت في القرن الأخير عدّة كتابات للحكاية الشّعبية، حيث هناك عدّة تسجيلات لحكايات شعبية أصلية وتمّ تحويلها من المنطوق إلى المكتوب، ومن بينها دراسة الباحث

الروسي " تولستوي" للحكاية الشّعبية الرّوسية، قام بتسجيل العديد من الحكايات. (تولستوي، 1999).

نجد جهود متنوّعة في دراسة الحكاية الشّعبية سواء علماء الفلكلور، أو علماء النّفس، وجهود الألمان في جمع الحكايات الشّعبية، كلّها ساهمت في انتشار الحكايات الشّعبية في جميع أنحاء العالم وتناقلوها حتّى ظهر روّاة وحكائين أكسبوا للحكاية معنى وتأثير، فهناك روّاة مختصين برواية الحكاية في المناطق النّائية، ثمّ انتشرت في القرن 19 عن طريق التّجار المتجوّلون والفلاّحون في القرى...إلخ، وتعتبر هذه الفئة مهمّشة من طرف المجتمع، لذلك استطاعوا أن يحقّقوا عالماً آخر في الحكاية الشّعبيّة لم يحقّقوه في واقعهم. (يونس، 1994، صفحة 35)

قد تفضّل الأسرة رواية القصص والحكايات للطّفل رغبة في تسليته وملئ فراغه، لكنّها تحمل في طيّاتها أهداف وهي نقل قيم ومعايير وأنماط السّلوك الاجتماعي للطّفل، بنسجها مسرحاً خياليّاً تؤدي فيه الكائنات أدوارها الخيّرة والشريرة، القويّة والضعيفة، فتزرع في الطّفل المبادئ الأخلاقية وأبعاد الخير، وتبعده عن المبادئ اللاّأخلاقية وأبعاد الشر، فتعتبر رواية القصّة والحكاية من الوسائل الرّئيسية التّي تستخدمها الأسرة مفوضة من قبل المجتمع لإنجاز عملية التّنشئة الاجتماعية. (الجوهري، 2008، الصفحات 198-199)

2.3 الحكايات في الرسوم المتحركة وأفلام الحركة

تعتبر القصص والحكايات القاسم المشترك بين كلّ مؤسّسات التّنشئة الاجتماعية، سواء قصّة الجدّة، أو الأمّ في الأسرة، أو قصّة المكتبة، أو المقرّر الدراسي، أو التّمثيلية الفيلم أو المسلسل الإذاعي، أو التّلفزيون في الجهاز الإعلامي، أو القصّة المنشورة والمقروءة بأشكالها المتنوّعة التّي يلجأ الطّفل إليها عادة، ثمّ هي أحياناً الحكاية التّي تجمع في جوٍّ عاطفي محبّب إلى الذّات، رفاق الشّارع، أو المدرسة، أو الحيّ يروونها ويستوعبون قيمها ومعاييرها (الجوهري، 2008، الصفحات 200-201). بظهور وسائل الإعلام الحديثة مثل

الراديو والفيلم والأسطوانة، بدأ الاهتمام بالأشكال الأدبية الصّغيرة التّي تترك أثر عند من يسمعها ويراها، وهكذا ظهرت الحكاية الشّعبية في برامج الأطفال استقت الأفلام وكلّ وسائل الإعلام سواء المرئية أو المسموعة موضوعاتها من الحكاية الشّعبية لأنّها مناسبة للعرض، وكانت عبارة " كان يا مكان" زمنية وتاريخية مناسبة لعاملي الزّمان والمكان داخل الحكاية الشّعبية، كما يجب أن تتوافق الملابس والمكان والأشخاص...إلخ، مع البعد التّاريخي داخل الحكاية الشّعبية، وربّما تجاهل عامل التّاريخ من أهمّ الأسباب التّي أدّت إلى نجاح أفلام الكارتون، التّي اهتمّت بعرض الحكاية الشّعبية. (يونس، 1994، صفحة 35)

استطاع (والت ديزني) بجانب أفلامه عن (ميكي ماوس) و (دونالدرك) وأفلامه عن الحكايات الشّعبية أن يبني عالماً للحكاية الشّعبية ذا أبعاد ثلاثة، وكذلك شخصيات الكرتون تتناسب مع شخصيات الحكاية الشّعبية، فقد ساعد التّلفزيون في نقل الحكاية الشّعبية وجعلها مرئية ممّا جعل أيضاً البالغين يتأثّرون بالحكاية الشّعبية. (يونس، 1994، صفحة 35)

من بين المصادر الأساسية لقصص وحكايات الأطفال، القصص والحكايات المسموعة والمصّورة التّي تعرض في التّلفاز والراديو والمسرح الموجّهة للأطفال، تجعلهم يشاهدونها ويعيشون مع المواقف في الإطار الانفعالي والخيالي للعمل الفنّي، ومن خلالها يستوعب الأطفال قيمها ومعاييرها، وأنماطها السّلوكية تعاطفاً مع شخصيات القصّة ولأنّ الديكورات، والموسيقى التّصويرية، والصّور تساعد على عمليّة الاستيعاب التّلقائي، وخلقها سياقاً اجتماعيّاً أقرب ما يكون إلى الحقيقة والوقع. (الجوهري، 2008، صفحة 200)

إنّ مجموعة حكايات الأطفال والبيت الأكثر انتشارا بين أطفال العالم، نظرا لثراء مادتها وخصوبة خيالها، وبساطة لغتها، وما تتضمّنه من مقولات تربوية غير وعظيه مباشرة، ولهذا انتبه رجال السينما والمسرح والتّلفزيون إلى أهمية هذا الكنز الأدبي وقابليته للإعداد عبر لغات أخرى غير الكتاب، وكان والت ديزني لأفلام الأطفال أوّل من استمدّ في أفلامه مادّتها من هذه الحكايات مثل، (الحسناء النائمة)، المستوحى من حكاية (وردة

الشّوك)، وكذلك فيلم (سنو وايت والأقزام السبعة)، المستوحى من حكاية (بياض الثّلج)..الخ، وهناك كثير من مخرجي ومنتجي أفلام الأطفال اقتبسوا من حكايات الأطفال في العالم. (جريم، 2016، الصفحات 15-16)

تظلّ الحكايات الشّعبية الشّفهية المتوارثة حكايات الأطفال والبيت للأخوين جريم التّي جمعها من العجائز موروث قديم انتشر من ألمانيا إلى الدول الأوربية والعالم.

كلّنا كبرنا على أفلام ديزني حيث أثّرت على طفولتنا، غير أنّ وسائل الإعلام والانترنيت لم تروي لنا قصص شخصياتها وأميراتها بأحداثها الأصلية أي من تلك القصص الأصلية مثل الرّوايات الأصلية للأخوين جريم. (جريم، 2016)، وهي حكايات شعبية ألمانية جمعها الأخوين التّي اقتبستها والت ديزني في أفلامها الكارتونية.

حكايات هانس كريستيان أندرسن وهي روايات موجّهة للصّغار والكبار، كان يشجّع القراءة وكان معروف بقدرته الاستحواذ على مخيّلة الصّغار وكانت قصصه ناجحة وشعبية موّجهة للأطفال ومن بينها، بائعة أعواد الكبريت التّي تمّ تحويلها إلى رسوم متحركة مترجمة إلى عدّة لغات، وفي الكتب المدرسية، حورية البحر الصّغيرة، عقلة الأصبع وغيرها ، بحيث ألهمت أعماله العديد من الأفلام والمسرحيات (أندرسن).

- حكاية بياض الثّلج: في القصّة الأصلية لبياض الثّلج والأقزام السّبعة لم تمت الشرّيرة بعد سقوطها من المنحدر بل أنّ بياض الثّلج هي من انتقمت منها بعدما أنقذ الأمير حياتها وتزوجا فحضرت الشريرة الزّفاف فأجبرتها بياض الثّلج بارتداء حذاء حديدي محمّى مسبّقا على النّار والرّقص به حتّى الموت، نرى أنّ بياض الثّلج ليست طيّبة القلب كما تخيّلناها.
- حكاية سندريلا: تمّ تحويلها إلى رسوم متحرّكة وفيلم سينمائي والقصّة الحقيقية تروي أنّ الأختان عند علمهما بقصّة الحذاء والأمير لاكتشاف هوية الفتاة التّي في الحفل، وعندما أتى الأمير إلى منزلهما لقياس الحذاء فلجأت إحداهنّ إلى بتر إحدى قدميها، والأخرى قامت بتقطيع كعب رجلها لتتناسب ومقاس الحذاء، وعندما

اكتشف الأمير بأمرهما واكتشف صاحبة الحذاء التّي كانت في الحفل (سندريلا) التّي تزوّجاها وأقاما حفل زفاف دعيتا الأختان للحفل وكان عقابهما هز فقع أعينهما من قبل الطّيور، لكن ما شاهدناه في التلفاز نهاية سعيدة توّجت بزواج سندريلا والأمير، ومسامحة زوجة الأب والأختان على أفعالهم وحضروا الزفاف وعاشوا في هناء وسعادة.

إنّ الرّوايات الأصلية لا تحذف المشاهد العنيفة والغير مناسبة للطّفل، بل تحثّ على إبقاء نص الحكاية الأصلي دون حذف أو تغيير، كما أنّ بتلهايم شجّع المحافظة النّص الأصلي من الحكاية الخيالية التي يجب ترك نصّ الحكاية الأصلي لأنّ المقاطع المحذوفة مرفوضة من طرف الطّفل فهو يرتاح عندما يعاقب الأشرار في النّهاية، ويكافئ الأخيار وينالون السّعادة المؤكّدة وتجري العدالة مجراها (بتلهايم، 1985). الأمّ تروي لطفلها حكاية قبل النّوم يفتح الخيال باباً واسعا للإدراك والفهم والوعي بالحياة والنّاس والعالم، فمنذ الصّغر تأتي الحكايات السّحرية المروية التي تحكي عادة عوالم متخيلة لم نعرفها أبداً ولا نعرف من أين أتت ولا كيف بدأت نذكر من بين تلك الروايات التي كبرنا عليها. (الوجه الآخر لأميرات ديزني، 2020)

أمّا بالنّسبة للرسوم المتحرّكة في الجزائر عالم ساحر يحتفل به الأطفال ولا يودّ مغادرته الكبار، هو عالم يمزج بين المرح والتّوعية، وكذا بين الصّور المعبّرة والرّسائل التّربوية وهناك عدّة مفاتيح لدخول عقل الطّفل وأوّلها الخيال، فمخرجوا الرّسوم المتحركة بالجزائر يحاولون بجهد من خلال هذا الفن في جذب الأطفال بعنصر الخيال الذّي يعبّر عن شخصيات تاريخية حقيقية، لكن الأعمال المحليّة لا تلقى الاهتمام والتّشجيع الكافي فكل الرسوم المتحركة أوروبية أو يابانية عالمية ونلاحظ في بعض القنوات العربية العنصرية تبثّ رسوم متحركة بلهجات محلية ليست بالعربية الفصحى مثلا باللّهجة المصرية فلا يفهمها مثلاً الطفل الجزائري، لذلك يجب الاهتمام بالأعمال المحلية

الجزائرية بتقديم أفلام كارتونية جزائرية من التّراث الجزائري يفهمها الطّفل الجزائري ويكبر بها.

إنّ مصير الرّسوم المتحركة في الجزائر أوّل الدّول المنتجة للرسوم المتحركة فمنذ 20 سنة يبدع (الطّيب شريف) في الأفلام الكارتونية بأستوديو البرّاق لإنتاج الرسوم المتحركة، وهدفها هو أداء رسالة تربوية تثقيفية ترفيهية للأطفال، بإنتاج الأفلام الكارتونية التّاريخية وتحويل المواد التّربوية إلى رسوم متحركة، لمساعدة الأطفال على التّأقلم مع برامج المؤسسات التّعليمية، فهي تقدّم تنشئة نفسية وثقافية سليمة للنّاشئة، فأي مشروع سينمائي يبدأ من قصّة، فالرّسوم المتحركة ترسم الشّخصية وملامحها، ثمّ تليها الأحداث فالرسوم المتحركة الجزائرية اليوم تظهر أبطال جزائريين للطّفل الجزائري، وهوية البطل يمثّل الطّفل الذّي يقلّد البطل في لباسه وتصرّفاته، فيقوم بإسقاط نفسه على البطل ويقلّده في محيطه، فيحاول إيجاد شخصية البطل في نفسه أو والده أو في محيطه، لكن إذا لم يجد تطابق الشّخصية مع المحيط يفقد الطّفل الثّقة في نفسه، فعند تقديم شخصية البطل ومغامراتها فهي تربي الناشئة، وفي كلّ إنتاج يحضر أساتذة مختصين مثلا إذا كان المشروع تاريخي يستدعي أستاذ في التّاريخ، حتّى اللّباس يكون مرتبط بالموضوع، ومن بين تلك الرسوم المتحركة الجزائرية المستمدّة من التراث الجزائري. (النهار، 2017)

3.3 الرسوم المرسومة:

توفّرت المقابلة مع الرّاوي كمال بن طاحة، الذّي ركّز على عيّنة من الحكايات الأمازيغية .

الرّاوي (كمال بن طاحة)، الشرفة، عزازقة، 1968، دخل عالم النشر عام 2013 من خلال نشر ألبوم كاريكاتير خاص به بعنوان"Amicalement vôtre"، تلاه اثنان من الرسوم الهزلية التوعوية باللغة العربية، أنتج أربع رسوم هزلية باللغة الأمازيغية، عزّي أكيد عزّول (الطائر وعزول)، في عام 2015، أكجممار، في عام2017 تفغوليت، في عام 2018، ثماشاهوتس نتسكورث.(حكاية الحجلة).

بدأ سلسلة من القصص المصورة باللغة الأمازيغية". ليجعل مشروعه حقيقة واقعة، استمدّ رسام الكاريكاتير هذا إلهامه قبل كل شيء من التراث الشفهي، ومن الحكايات القديمةTimucuha. واختار الحكاية هو قبل كل شيء تقديراً لأمّهاتنا وجداتنا لمحافظتهم على كل هذا التراث الثقافي الغني غير المادي، وما زالوا يهزوننا خلال طفولتنا بهذه القصص الجميلة المليئة بالأخلاق ، يصرّح (كمال بن طاحه.) "من قبل، كنّا نتجمع حول نار حطب للاستماع إلى كلّ هذه الحكايات الجميلة التّي غذّت خيالنا، ولكن الآن يمكننا بدورنا إخبار أطفالنا بها من خلال القصص المصورة، هذه ليست طريقة فنية لرواية هذه القصص فحسب، بل هي أيضًا طريقة لإنقاذها من الضياع وفقًا لمحاورنا، تعدّ الرّسوم الهزلية طريقة أكثر جاذبية لتشجيع الأطفال على القراءة، علينا أن نعمل باستمرار، أي لعمل رسومات ملوّنة وقبل كل شيء العمل على شخصيات الحيوانات عن طريق إضافة فقاعات بنصوص صغيرة تلفت الأنظار(BENTAHA, 2021) .

من خلال مقابلتنا ينسج الرّاوي الحكايات من ذاكرته، حكاية عزي وعزول (الطائر وعزول) هي شخصيات مستوحاة من الحكايات القديمة، والتّراث الأمازيغي القديم مثل (ثيسليث بونزار)، (بوغنجة)، (يناير)، وحكايات الرّاوي يستوحيها من الذاكرة الشعبية سواء من أمّه، أو العجائز، أو من المناسبات (ثيمغريوين)، يقول الرّاوي أنّ للأمازيغ 44 مناسبة هي بمثابة طقوس أمازيغية قديمة مثل آنزار بوغنجة، يناير، أوّل خرجة للمولود الجديد، حلق شعر الطفل مع تقديم وليمة لأهل القرية (ثِيمَشْرَطْ)...الخ (طاحة، 2021) فالميثولوجيا الأمازيغية مرتبطة بالمعتقدات القديمة، وهو لا تاريخي يعبر الزّمن دون أن يحرفه، فالحدث قد جرى في الزمن الميثي المقدّس البدئي، يحمل في طيّاته التصور، أو التمثل الذّي يشكله المجتمع عن نفسه ومكانته في الكون (أسوس، 2008، صفحة 12).

وكل مناسبة يستخلص الرّاوي منها حكاية، فلكل حكاية لها أصلها وحقيقتها فتجسّد الحياة قديماً، وتحمل في طيّاتها تراث عريق، فتبيّن للطّفل كيف نشئ أجدادنا، وعليه يجب تقديم للطّفل كلّ ما هو حقيقي وأصلي، مستوحى من التراث الشعبي القديم،

فالطّفل يحبّ كل ما هو مرئي بالعين المجرّدة ، والابتعاد عن المجهول الغامض. (طاحة، 2021)

حكاية (تسكورث) الحجلة(BENTAHA, Tamachahut n Tsekkurt, 2020) كانت الحجلة تبحث عن الفاز (النّسر)، نزلت من أكفادو إلى إعزوقان من البحر مروراً بجبل جرجرة، بحثا عن النّسر وصولاً إلى الصحراء، فصادفت في طريقها بكل الحيوانات المفترسة ولم يلتهمها أحد، بل بالعكس قام جارها النّسر بالتهامها، حيث اختبر أولاده الثّلاث في فنّ الصيّادة فاختار الابن الأصغر الذّكي أكلها بريشها لكي لا تقول الحيوانات أنّ النّسر التهم جارته الحجلة، وهذه الحكاية غنّاها الفنان إيدير، قال الرّاوي عندما سمعت إحدى النساء هذه الحكاية شعرت بأنّها طافت مع الحجلة كلّ تلك المناطق من بيتها، والرّاوي أو الوالدين عندما يروون للطّفل حكايات مرفوقة بأماكن من بلده الأصلي المعروف، يتخيّلها الطفل حتى وإن لم يقم بزيارتها ، وعندما تتيح له الفرصة بزيارتها يتذكّر تلك الحكاية، فيصبح الخيال واقعاً، فنضع الطّفل أمام الواقع الحيّ دون أن يبحث ويكلّف نفسه، فالأمّ هي التّي تقوم برواية حكاية مكتوبة لتحبب القراءة لطفلها ، في القديم كانت الأسر تجتمع للاستماع للحكايات الشعبية لينسوا بها آلامهم، لكن في وقتنا المعاصر كلّ متطلّبات الحياة متوفرة للطّفل، فالحكاية رغم تحولاتها في المجتمع المعاصر، إلاّ أنّها تبقى محافظة على مغزاها وعراقتها، وموضوعها مستوحى من التراث الشعبي، مع تحويلها إلى الواقع المعاش، وحسب معرفة وإدراك الطّفل مع إضافة لتلك الحكاية شخصيات خيالية كشخصية عزي (الطائر) وعزول، كما أنّ في حكاية يناير تمّ إضافة شخصية النّسر بلارج فيها والذّي يأتي مع يناير، الحكايات ليس لها حدود أو أعمار فالطّفل يكبر ولا يزال يحكي الحكايات لأولاده، تحفيز وترغيب الطّفل على القراءة خاصّة في المراحل الأولى من عمره، من خلال رواية حكاية مكتوبة، فمن القراءة والاطلاع تنطلق الأفكار، شرط أن تكون الحكايات من الذاكرة محافظة على عراقتها وأصالتها فتجمع بين الكتابة والقراءة، والاقتباس من التراث القديم المتوارث (طاحة، 2021).

حكاية (الطائر وعزول) عزي أكّد عزول (BENTAHA, Ezi Aked Ezzul deg yimensi n yennayer, 2021) وحيد والديه تروي الحكاية يناير عادات وتقاليد الأمازيغ منذ القديم وفي هذه المناسبة يتمّ فيه طهي الطعام سكسو سبعة إيسوفار، وعزي طّائر حجمه صغير يحبّ أكل الزّيتون في موسم الشّتاء، أراد عزول اصطياده لطهيه في عشاء يناير

الحكاية عند أجدادنا في القديم تنسج من الخيال، بتخيّل الأشخاص وأدوارهم في الحكاية، بينما الآن مع عصر التكنولوجيا والانترنيت تحوّلت الحكاية الشعبية إلى معاصرة واتّخذت أشكال متنوّعة كالرّسوم المتحركة، أو رسوم مرسومة، وطفل الحاضر يعشق القصص، والحكايات المرسومة، فالطّفل أقل من ثلاث سنوات يجب على الأمّ أن تروي له حكاياته المفضّلة ، مثل حكايات الحيوانات المرفقة بالرّسوم والصّور، والألوان الزاهية التّي تجذبه مع إضافة لها قولين مختصرين، ليستوعبها عقل الطّفل فتضفي على الحكاية البهجة والسّرور، لكي يستوعبها حتى وإن كان لا يجيد القراءة. (طاحة، 2021)

أسطورة أوّل يناير تحكي أن عجوز وأغنامها صعدت إلى الجبل في يناير كان الطّقس جميل، قائلة ارتحنا منك يا يناير ومن بردك، غضب يناير وطلب من فبراير أن يعطيه ليلة ونهار للردّ على العجوز –يا عمّي الفوار أعطني ليلة ونهار نرد على العجوز صاحبة فم العار وأجمدها وأيبّسها- فأعطاه فبراير إحدى عشر ليلة، ولو أعطاه ليلة ونهار لتجمّدت الأرض لكن يريد أن تتجمد العجوز وأغنامها، ومازال تمثالها وأغنامها قرب الفرن في أعالي جبال جرجرة (بوزيدة، 2005، الصفحات 149-150).

والرّاوية نا لجوهر قالت أنّ العجوز استهزأت بيناير لأنّ أيّامه مرّت بلا برد وفي اليوم الأخير صعدت وأغنامها إلى الجبل لترعى فقالت له باستهزاء (طز دنك يا يناير، إفغغ أسوفغَغْ إييُونْدُوزْنِيوْ)، (خرجت لأرعى غنمي فتبّاً لك يا يناير)، ثم طلب يناير من فورار أن يعيره يوم وليلة، قائلا (رضلييي اعمّ فورايوباس أذرغ ثمغارث ملارألسمنار)، (يا عمّي فيفري أعرني يوم لأرجع العجوز العار أمام عتبة الدّار)، وبدأ البرد القارس، وتساقط الثلوج لمدة إحدى عشر يوم وليلة، حتى تجمّدت العجوز وأغنامها، لذلك يأتي أيام أوائل

شهر فبراير بارد، ومازال تمثال العجوز وأغنامها إلى يومنا هذا كأنّها تنسج أمام المنسج إلى يومنا هذا في جبل إغيل نتمغارث في أعالي جبال جرجرة وهي مغارة موجودة لحد الآن (نالجوهر، 2018)

وهناك أسطورة العجوز المرتبطة بفترة البرد الشّديد (أسوس، 2008، صفحة 19).

ثيسليث بونزار أنزار طقوس تقام عند الجفاف لنزول الأمطار يتم إلباس غراف من الخشب مزين بحلي أمّا اليدين فتمثّلان بملعقتين وترمزان إلى الاستقبال لماء المطر، وهذه الطّقوس تعود إلى ملك المطر يرغب الزّواج من فتاة بالغة الجمال كانت تسبح في الأنهار (بوزيدة، 2005، صفحة 143).

الكتابة للأطفال إبداع استلهم مواضيعه من الحكاية الشعبية، لما فيه من خيال واسع، فالموروث الشّعبي يعبّر عن طفولة الإنسانية في نشأتها، فالحكاية الشعبية تحاول تفسير مظاهر الطبيعة والعلاقات الاجتماعية تفسيراً ساذجاً نظراً للإمكانيات العقلية للطفل، فكلاهما لا يتعامل بصرامة المنطق، بل فيه الخوارق والعجائب، فالطفل لا سأل عن كيفية حدوث الأشياء بل يتقبلها في إطار ظرفيتها ومركباتها الدلالية، فالجمالي عنده هو البقاء بالدلالة في إطارها الوهمي (عميش، 2012، صفحة 18).

قد اهتمّ علم النّفس بالرّبط بين الحكاية الشعبية وبين النموّ النفسي للأطفال، لأنّ الحكاية الشعبية تدعم نشأة الخيال الخصب البناء عند الأطفال، والحكاية الشعبية تخصّ عمراً معيّناً كما قال علماء النّفس وبالتّحديد السنوات الأولى من المدرسة، وساعد وصول الحكاية الشعبية إلى كتب القراءة على انتشارها وشهرتها، وبقي تحديد سنّ معيّنة لقراءة الحكاية الشعبية عائقا منع انتشارها في جميع المراحل العمرية (يونس، 1994، صفحة 54).

تشكّل القصص والحكايات التّي يستمع إليها الطّفل أحد المصادر الرّئيسية نظراً لقيمها، لذلك تعتمد الأسرة على إثارة خيال الطّفل عن طريق رواية قصص وحكايات الذات له، فتخلق عالماً أشبه بالواقع الذّي يعيشه الطّفل، فيوافقه على بعض قيمه أو

يرفض أخرى، واستيعابه لبعض القيم تتيح له الفرصة لتدعيم بناءه القيمي، كما تساعد الكتب المدرسية لما تحتويه من قصص وحكايات على غرس مجموعة من القيم والاتّجاهات السلوكية لدى الطّفل، ممّا يجعله قادراً على المشاركة في الواقع المحيط به، وتزويده بالمعارف العلمية، وكذا إيقاظ حسّه الوطني أو الدّيني أو القومي وقد تكون جديدة أو مستوعبة من الأسرة (الجوهري، 2008، صفحة 202).

ترتبط الحكاية الشّعبية بأشكال التّعبير الشّفوي في المجتمع، لكن في عصرنا الحديث انتشرت أشكال تعبير أخرى جديدة تعتمد الكلمة المكتوبة، والصّورة المتحرّكة، وتمثّلها الصّحف ووسائل الإعلام التّي أخذت تحلّ محل أشكال التّعبير الشّفوي (محبك، 2005، صفحة 33)

4.3 الحكايات في المكتبات:

تتمحور هذه المداخلة حول الحكاية في المكتبات (قسم علم المكتبات والتّوثيق بجامعة الجزائر2).

تعرضت هذه التّجربة إلى استعمال اللّوحات تماشياً مع البيئة الرّقمية في المكتبات، وهذه التّجربة تهتمّ بالطّفل في كلّ النّواحي لا يقدّمون الحكاية وانتهى الأمر، بل يهتمّ بالجانب الاجتماعي، الصّحي، الفكري للطّفل، وهناك تعامل يبنهم بين المختصّين في طب الأطفال، والمختصين في علم الاجتماع الذّين يدرسون ويهتمّون بهذه الفئة، ليكتسبوا تجربة أفضل وخبرة، حبّذ لو كان مثل هذه الأنشطة في مكتباتنا، خاصّة مكتبات المطالعة العلمية التّي تستقبل عدداً من الأطفال والتّي تخصّص فضاءً لهم، الطّفل كثير الحركة من الصّعب أن نطلب منه الجلوس في مكانه على الأرض فلابدّ من معرفة ودراسة التّعامل مع الطّفل، مع دراسة حركات الطّفل وتعليمهم المزج بين حركاته والحكاية، وتمكين الطّفل من الحركة التّي تعتبر حركات مدروسة وليست عشوائية من النّاحية البسيكولوجية، والسوسيولوجية للطّفل لدراسة أثر الفضاء الرّقمي على الطّفل ليس إلقاء الحكاية للطّفل وفقط (شكوش، 2018).

الفضاء الرّقمي له أثر على الطّفل يهتمّ بكلّ جوانب الطّفولة الصّحي، الجسمي، النّفسي اللّغوي، الاجتماعي، التّربوي...الخ بتوفير مختصّين في المجال سواء علم الاجتماع، أو علم النّفسي والتّربوي، أو طب الأطفال، لتهتمّ بالطّفل وخصائصه وحركاته ودمجها مع الحكاية باختيار ما يناسب الطّفل ومراعاة كل خصائصه الطفولية، لأنّ لكلّ من المربّين بترغيبه الطفل في الحكايات الشعبية، عن طريق جلسات مع مختصّين، وكتّاب، ورواة للتّواصل مع الطّفل، وهذه اللوحات الرقمية تسرد الحكايات رقمياً، فتنتقل الحكاية عبر فيديو في مواقع التواصل الاجتماعي، وهذه المكتبات تكون أهدافها تعليمية تربوية للطفل بمراعاة ما يناسبه وفي نفس الوقت تحمل تقنيات معاصرة تجلب الطفل وتثيره (داراسة، 2018).

إنّ الوسائل المساعدة كالديكورات، والموسيقى التّصويرية، وإبهار الصورة تساعد على عملية الاستيعاب التلقائي، إلى جانب أنّها تخلق سياقاً اجتماعياً أقرب ما يكون إلى الحقيقة والواقع (الجوهري، 2008، صفحة 202).

الحكاية، الحكيوة، أو المحاجية في المكتبات، التّجربة الفرنسية أنياس دوفرانس، ماري دارسة، مجموعة المكتبيين والمنشّطين في العمل الثّقافي: كانت المداخلة تتحدّث على التنشيط في المكتبات لا يعني أنها أنشطة قديمة، تقديم عناوين أخرى لرواية القصّة لاستمرار الحكاية، إنّ الحكاية الرقمية عكس الحكاية التّقليدية، فهي ذات بعد تكنولوجي، باستعمال الأنترنيت وهو سرد رقمي بتقنيات متطوّرة بالحركة، والصّوت، والصّورة، والموسيقى عبر مواقع التّواصل الاجتماعي، ظهرت الحكايات الرقمية في عام 2012 مع وصول اللّوحات للمكتبات وفي وقتنا هذا يوجد الكثير من المكتبات الجديدة المجهّزة بهذه اللّوحات ممّا أدّى إلى اقتراح حكايات من نوع أخر، والهدف من هذا النّوع من التّنشيط لاكتشاف حكاية لكن بطريقة جديدة تحمل ألعاب فيديو تتكوّن التّنشيط على شكل أفواج عمل لتعلّم الطّفل العمل جماعة التّضامن، والتّعاون من خلال تلك الحكايات

المقترحة التّي تكشف عن قدرات كل طفل، حان وقت الحكايات الرّقمية، والرّقمية بصورة عامّة مع العمل عن طريق الأفواج (داراسة، 2018).

برزت الكثير من الجهود لتسجيل الحكايات الشعبية وتدوينها كونها التراث الذّي هو شكل من أشكال الهوية والخصوصية الثّقافية، وقدرته على تفسير بعض الجوانب الاجتماعية والثّقافية والفكرية التّي يصحبها نظام من المعتقدات التّي تميّز ثقافة مجتمع ما، إلاّ أنّ التّحولات الاجتماعية والثّقافية أصبح يهدّد التّراث نتيجة انفتاح زمننا على الثّقافات الأخرى ممّا قد يؤدي إلى تهديد وتفكيك الهوية الخاصّة للأمم في ظلّ العولمة (أبوشهاب، 2015).

3. خاتمة

للحكاية الشعبية أهمية كبيرة في حياة الطّفل، من خلال عالمها الخيالي وتجسيداتها تساعد الطّفل في تخطّي صعوباته، وتحقّق له نموّه وهذه وظيفتها النّفسية، إضافة إلى وظيفتها الأخلاقية والاجتماعية تتمثّل في التّمييز بين الخير والشّر، واكتساب الطّفل الأخلاق والقيم الايجابية، كالشّجاعة ،والمثابرة، والتّعاون...إلخ، والابتعاد عن القيم السّلبية المنبوذة في المجتمع، فتتكوّن شخصيته، لذلك علينا إحياء تراثنا الشّعبي بحثّ الأسر على رواية حكايات شعبية لأطفالهم والاستعانة بها في تربيتهم، تظلّ الرواية الشّفوية للحكاية هي الأفضل في توصيل وتلقين الطّفل القيم والمعايير، رغم غزو عصر التّكنولوجيا والتّطور في عصرنا هذا التّي حوّلت حكاياتنا الشّعبية إلى أشكال حديثة معاصرة، فهناك العديد من الأسر والأطفال يفضّلون مشاهدة الحكايات على التّلفاز، أو على شكل أقراص مضغوطة أو قراءة قصص من المكتبات، ويتمثّل هدف كلّ من الأسرة، أو وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، أو القصة المقروءة هو إرشاد الطّفل، وتنمية قدراته، وتربيته ومساعدته في النّمو وبناء شخصية متوازنة، وتلقينه سلوكيات أخلاقية واجتماعية بنّاءة، مع الحفاظ على الأصالة والعراقة بإحياء موضوعات الحكايات الشّعبية واستلهامها مع

كلّ أشكالها المعاصرة، فالحكايات الشّعبيّة موروث شعبي قديم وعريق، وهي بقايا معتقدات الشّعوب البدائيّة ورثتها الشّعوب من العصور السالفة، وهي جزءاً من الأدب الشّعبي وأقدم موضوعاته عرفتها الأمم منذ القديم، تعبّر عن تخيّلات وتأملاّت الشّعوب وتحقّق أحلامهم ورغباتهم، غرضها الإصلاح وتربية الأجيال وتنشئته على أسس القيم والمبادئ الأخلاقية.

5. قائمة المراجع:

- BENTAHA, K. (2021). Ezi Aked Ezzul deg yimensi n yennayer. Tizi-Ouzou: Ferroir.
- BENTAHA, K. (2020). Tamachahut n Tsekkurt. Tizi-Ouzou: Asirem.
- أحمد زلط. (1997). أدب الطفولة اصوله ومفاهيمه رؤى تراثية (الإصدار 4). القاهرة.
- أحمد زياد محبك. (2005). من التراث الشّعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشّعبية.
- الأخوين جريم. (2016). حكايات الأخوين جريم ترجمة نبيل الحفار (الإصدار 1). العراق: دار المدى.
- الوجه الآخر لأميرات ديزني. (08 جوان، 2020). تم الاسترداد من دنيا الوطن: *https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2020/06/08/1343020.html*
- أنياس دوفرانس ماري داراسة. (2018). الحكاية، الحكيوة، المحاجية في المكتبات، التجربة الفرنسية. قسم علم المكتبات والتوثيق جامعة الجزائر 2.
- برونو بتلهايم. (1985). التحليل النفسي للحكايات الشعبية ترجمة طلال حرب. بيروت: دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع.
- رامي أبوشهاب. (2015). بنية الحكاية الشعبية القطرية، النموذج والإستقبال. قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
- عبد الحميد بورايو. (1986). القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عبد الحميد يونس. (1994). الفنون الشعبية (الإصدار 45). مصر: مطابع الهيئة المصرية للكتاب.
- عبد الرحمان بوزيدة. (2005). قاموس الاساطير الجزائرية. وهران: منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثّقافية.
- عبد القادر عميش. (2012). قصة الطفل في الجزائر، دراسة في الخصائص و المضامين (الإصدار 2). تيزي وزو: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
- قناة النهار. (24 مارس، 2017). الرسوم المتحركة في الجزائر..ما مصيرها ؟ تم الاسترداد من *Youtube: https://www.youtube.com/watch?v=4QacmPoFZO8*

- كمال الدين حسن. (2002). مقدمة في أدب الطفل. القاهرة : كلية رياض الطفل.
- كمال بن طاحة. (21 جوان، 2021). الحكاية الشعبية المرسومة. (ليندا قجنان، المحاور)
- ليون تولستوي. (1999). حكايات شعبية ترجمة صياح الجهيم (الإصدار 1). بيروت: دار الفكر اللبناني.
- محمد أسوس. (2008). كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية. المغرب: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- محمد الجوهري. (2008). الطفل والتنشئة الإجتماعية. القاهرة.
- موفق رياض مقدادي. (2012). البنى الحكائية في أدب الأطفال. العربي الحديث ، 15.
- مونية شكوش. (2018). قسم علم المكتبات والتوثيق جامعة الجزائر 2.
- نالجوهر. (2018). حكاية يناير. (ليندا قجنان، المحاور)
- نبيلة ابراهيم. (1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- هادي نعمان الهيتي. (1977). أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- هانس كرستيان أندرسن. حكايات أندرسن الخيالية ترجمة عادل غراب (الإصدار 1). مؤسسة هنداوي.